عبر من قصص القرآن الكريم

لقمان الحكيم

بقلم

إبراهيم يوسف نصير

مكتبة العبيكان

obeikandl.com

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

لجنة التأليف والترجمة بمكتبة العبيكان

قصة لقمان. – الرياض.

٤٣ ص، ١٧X ٢٢ سم – (عبر من القرآن الكريم)

ردمك: ٨ – ٩٧٦ – ٢٠ – ٩٩٦٠

١ – قصص القرآن أ – العنوان ب – السلسلة

ديوي ٢٢٩,٥ ٢٢/١٥٣٨

ردمك: ٨– ٩٧٦ – ٢٠ – ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٢٢/١٥٣٨

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشـــر

مكتبة العبيكان

الرياض – العليا – طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٢ – ١٩]

obeikandl.com

مقدمة

تجيء القصص في القرآن لتكون طريقة من طرق التربية، ووسيلة من وسائل التعليم، وبهذا تهذب الإنسان، وتقوم سلوكه ليكون سويًا في حياته.

والمتدبر لكتاب الله يجد أن القصة قد تأتي متفرقة أحداثها في أكثر من موضع، وفي الوقت ذاته تأتي قصة مكتملة في موضع واحد، ومن هذا النوع الأخير قصة لقمان التي يعرضها القرآن في نسق جديد، إنه نسق الحكاية ولتوجيه غير المباشر، وفي هذه القصة يعالج القرآن مجموعة من القضايا المهمة، التي لا تستقيم حياة الناس من دونها، وفي مقدمتها قضية تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الشرك كله ظاهره، وباطنه، وأن يخلص الإنسان التوجه له وحده في كل أفعاله وأقواله، وأن تكون العبادة له وحده لا شريك له.

ومن اللافت للنظر أن هذه القصة لم تذكر في كتاب الله سوى مرة واحدة وفي سورة خصه الله بها، إنها سورة لقمان.

وكما هو مبدؤنا لن نخوض خلال عرضنا لأحداث هذه القصة وما فيها من توجيه وتربية أكثر مما ورد في كتاب الله، فلن نتحدث عن قومه أو زمنه أو غير ذلك مما لا يفيد في الهدف المنشود من القصة ولو كان لهذه الأشياء حجة لذكرها القرآن الكريم.

وعلى هذا فسوف نعيش في الصفحات الآتية مع هذه القصة، آملين أن يوفقنا الله فيما نقول، وأن يعصمنا من الزلل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

obeikandl.com

من هو لقمان الذي آتاه الله الحكمة؟

نسبه: هو لقمان بن عنقاء بن سدون.

هذا ما ذكره ابن كثير في تفسيره. وقال: هذا قول حكاه السهيلي.

أما ابنه فهو: ثاران، وهذا أيضا عند ابن كثير.

ونظراً لأن الابن أقرب إلى قلب أبيه؛ لذلك فهو يمنحه أفضل ما يعرف.

هل هو نبي أم عبد صالح آتاه الله الحكمة؟

هناك خلاف بين العلماء في التعريف بلقمان، فمن قائل بنبوته، ومنهم عكرمة والشعبي، ومن قائل بأنه عبد صالح وليس نبيًا، ومن هذا الفريق مجاهد وغيره، وعلى هذا الرأي الأخير جمهور العلماء، وهو ما نرتاح إليه، وعلى هذا يمكن أن نقول: إن لقمان هو عبدصالح آتاه الله الحكمة، ومن هنا أُطلق عليه لقمان الحكيم فهو حكيم بحكمة الله تعالى.

معنى الحكمة: هي توخي القصد والاعتدال في جميع الأمور، ويقال إنها: معرفة العلل والغايات لما يفعله الإنسان أو يتركه، وتفسر كذلك بأنها وضع الأمور في نصابها بتبصر وحسن رؤية وقوة إدراك؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

وحتى يتضح الأمر أكثر لنا لابد أن ندرك أن هذا الخير الكثير الذي نالـه من آتاه الله الحكمة منه:

أوتي القصد والاعتدال فلا يفحش ولا يتعدى الحدود، وأوتي معرفة العلل والغايات فلا يضل في تقدير الأمور كلها، وأوتي البصيرة المستنيرة التي تهديه دائما للصالح المفيد من الأعمال والحركات، أفلا يكون هذا الخير الكثير متنوع الألوان. وصاحب الحكمة يتمتع بعقل يتذكر فلا ينسى، وهو دائم التنبه فلا يغفل وهو دائم الاعتبار فلا ينغمس في الآثام.

وفي الحقيقة فإن من يتدبر هذه الأشياء التي تدل عليها الحكمة وجب عليها أن يجعل الشكر عليها واجبًا عليه لمن أسداها إليه وهو الله رب العالمين.

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾.

توجيه قرآني:

في مستهل قصة لقمان يؤكد الحق سبحانه وتعالى على مجموعة من الحقائق التي يجب على الإنسان إدراكها، لأنه متى أدركها جاء فعله وسكونه على مقتضاها.

الحقيقة الأولى: أن الحكمة هبة من الله لعباده ولا يستطيع أحد أن

يحظى بها إلا إذا كان ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأن إعطاءها للإنسان متعلق بالمشيئة المطلقة المختارة لله رب العالمين.

الحقيقة الثانية: أن إيتاء الحكمة للإنسان يجب أن يكون الشكر لله عليها هو المقابل لها حتى لا يغتر الإنسان بنفسه، ويدرك أن الله هو المانح لهذه الحكمة ولولا عطاء الله لما وصل الإنسان بعقله إلى ما وصل إليه.

الحقيقة الثالثة: علينا أن نعتقد بصدق لا ريب فيه أن الشكر لله تعود فائدته على الإنسان وحده، فالله سبحانه وتعالى لا ينفعه شكرنا ولا يضره كفرنا إنما نحن الذين نستفيد من ذلك؛ فإذا شكرنا كان خيراً لنا وزادنا الله من نعمه وإذا جحدنا كان جحودنا وبالاً علينا.

الحقيقة الرابعة: أن الله غني عنا وعن عبادتنا وعن طاعتنا فهو الغني الحميد، وإذا عرفنا ذلك أدركنا مدى حاجتنا نحن إلى الله سبحانه وتعالى.

تحدثنا في السطور السابقة عن الشكر لله سبحانه وتعالى على آلائه التي لا تحصى ولكن ما هو الشكر؟

حقيقة الشكر لله:

إن الشكر يبدأ بمعرفة الإنسان لواهب النعمة، وتمجيده بصفاته، ثم عبادته وحده لا شريك له؛ لأنه الواحد الذي تشهد بوحدانيته آثاره العظيمة

في صنعته، إذا أدركنا ذلك المعنى وجب علينا أن يتبعه استخدام حواسنا وكل طاقاتنا في المبدأ الإلهي الجامع: افعل ولا تفعل، بذلك نستطيع تذوق الحياة والاستمتاع بها في هذا الإطار.

فإذا تركنا القلب يجول مع آلاء الله ونعمه لوجدنا أن هذه النعم توقف الوجدان إلى دلائل الإيمان، وفي الوقت نفسه لا يحصيها الإنسان مهما كانت مقدرته الرياضية وقدرته الفكرية؛ لأن الخالق سبحانه يقول: ﴿**وإن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا**﴾ إن الشكر عبادة تسيطر على العقل البشري وتثبت ضرورتها بصورة أكيدة لا مجال إلى رفضها أبداً، فنعم الله تترى على الإنسان ولا يشكر الله عليها إلا قلة من الناس.

أَمْر لقمان بشكر الله على نعمه توجيه ضمني لنا؛ لكي نقتدي بذلك الرجل الحكيم، إضافة إلى توجيه آخر يفيد أن شكر الله إنما هو رصيد مذخور للشاكر ينفعه هو، والله سبحانه وتعالى غني عنه.

وعلى هذا فأحمق الحمقى هو من يخالف عن هذه الحكمة، ولا يدخر لنفسه مثل هذا الرصيد الذي ينفعه يوم لا ينفع مال ولا بنون.

لقد جاءت مقدمة القصة بحقائق ثابتة، ونعم وارفة مؤكدة أن الله آتى لقمان الحكمة، وهذه النعمة تعد أساسًا وقاعدة لكل ما يقوله لقمان فيما

بعد، كما أنها تعد منطلقا لمواعظه وتوجيهاته لولده، فالحكيم هو الذي يستطيع أن ينصح، وهو الذي يرشد غيره، ويهديه إلى طريق الخير في الدنيا والآخرة، وبما أنه حكيم فالواجب أن ينصت العاقل إلى نصحه، ويستجيب لإرشاده؛ لأنه جدير بهذا.

تبدأ الآيات الكريمة في عرض الحوار الذي جرى بين لقمان وابنه وهذا الحوار قصد به الوعظ والنصح والإرشاد من والد لولده، وإذا جاءت الموعظة من والد لولده تكون غير متهمة في هدفها أو المقصود منها؛ لأن النصيحة في مثل هذه الحالة تكون مبرأة من كل شبهة، بعيدة عن كل مظنة.

وعلى الرغم من ذلك فإن لقمان يبين المبرر والهدف من كل نصيحة، والغاية وراء كل موعظة وذلك ليزيد اقتناع السامع بها ويؤكدها في ضميره.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

قضية التوحيد:

في هذه الآية الكريمة تجيء قضية التوحيد في صورة موعظة من لقمان لولده. والبدء بعرض قضية التوحيد يؤكد على أنها أساس لكل عمل مقبول وقول مقبول، إنها القاعدة التي عليها تبنى مقومات الحياة، وبدونها تختل

الموازين، وتفقد الأعمال قيمتها، وتذهب الأقوال أدراج الرياح، إنها أساس الاطمئنان في هذه الحياة، فلا اطمئنان من دون توحيد صحيح لله ولا راحة في عالم الشرك والضلال.

ومن هنا بدأ لقمان بها مواعظه لابنه لكي يبين له الأساس الذي يجب أن تبنى عليه حياته، والمنطلق لكل أفعاله وأقواله، فلا قبول للأعمال دونها وإذا أشرك الإنسان في عبادته شيئًا آخر مع الله فقد فَقَد صوابه، وأعطى دليل جهله من نفسه، فالله لا يقبل عملا أشرك فيه معه غيره فهو سبحانه أغنى الشركاء.

هل من العقل التسوية بين من لا نعمة في الوجود إلا وهي منه وهو الله جل جلاله، وبين من لا نعمة منه ألبتة، ولا يتصور أن تكون منه، وهو مـ سوى الله تعالى؟

ولكن ما العلة التي بينها لقمان – كما جاء في القرآن – لنهيه عن الشرك بالله؟

يقول: إن الشرك لظلم عظيم؛ لأنه ظلم نفسه أولا حيث قطع صلته بالله رب العالمين، وجعلها تعيش في ظلام شديد تتخبط ولا تهتدي إلى طريق الصواب، فلاتنتهي أبدا إلى هدى أو خير.

وإذا فقد الإنسان صلته بالله، وأردى نفسه وأشقاها فإنه لا يتورع عن إيذاء غيره، ولا ينال الناس منه إلا كل عذاب وألم وشقاء وبذلك يكون قد ظلم غيره، فظلمه لنفسه وظلمه لغيره من عباد الله أفلا يكون هذا ظلما عظيماً؟

وخلاصة القول: أن المشرك شقي ضال عن طريق الله، محروم من هداه، فهو أبداً في تعثر وعناء وضلال وظلم عظيم، ولهذا حرص لقمان على أن لا يكون ابنه واحداً من هؤلاء، وخاف عليه من سوء العاقبة في الآخرة فجاءته هذه النصيحة الغالية من قلب الأب الرحيم والوالد الحنون.

لفتة قرآنية كريمة:

خلال وصية لقمان ووعظه لولده تأتي لفتة قرآنية حانية لتقطع مواعظ لقمان وتضع بين يدي الإنسان قضية من أهم القضايا وأخطرها بعد توحيد الله، قضية تتعلق بسبب الإيجاد بعد إيجاد الله الأول للبشر جميعاً ممثلا في أبينا آدم وأمنا حواء. إنها قضية حقوق الوالدين.

توصية وحنان:

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

وفي ثنايا نصيحة الأب لابنه يعرض القرآن الكريم للعلاقة بين الوالدين والأولاد، وماذا يجب أن يكون بينهما من حنان وألفة ورحمة، وكيف تُظَلّل هذه العلاقة بظلال الحب والعطف والاحترام، يعرضها القرآن الكريم في أسلوب رقيق أخاذ، ويضعها في صورة حية فيها رقة وحنان.

إن توصية الولد بالوالدين تتكرر في القرآن الكريم في أكثر من موضع، كما أنها تتكرر في وصايا رسول الله ﷺ؛ وما ذلك إلا ليلفت القرآن نظر الولد إلى الجيل المضحي المدبر عن الحياة، الذاهب عنها بعد ما سكب عصارة عمره وروحه وأعصابه للجيل المتجه إلى مستقبل الحياة، وما يستطيع الولد وما يبلغ أن يعوض الوالدين بعض ما بذلاه في سبيله ولو وقف عليهما عمره كله، وفي هذا المعنى يرد حديث رسول الله ﷺ فيما يرويه الحافظ أبوبكر البزار في مسنده – بإسناده – عن بريدة عن أبيه أن رجلا كان في الطواف حاملا أمه يطوف بها، فسأل النبي ﷺ هل أديت حقها؟ قال: لا. ولا بزفرة واحدة» هكذا.. ولا بزفرة واحدة.. في حمل أو في وضع، وهي تحمله وهنا على وهن.

فالقرآن الكريم والحديث الشريف يصوران تلك التضحية النبيلة الكريمة الواهبة تلك التي تتقدم بها الأم في حنان وسعادة بهذا المولود، لا يجزيها أبداً إحسان من الأولاد مهما أحسنوا إليها، وعلى الرغم من ذلك فأنل

إحسان من الأولاد إليها يسعدها ويرضيها لأنها بحر يفيض بالحنان والحب، وقلب لا يعرف إلا الحب للأولاد فالأم – من دون شك – تتحمل النصيب الأوفر في تربية الأولاد منذ الحمل وحتى الكبر. ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾. إن المتأمل في ألفاظ هذه الآية وكيف ركبت، والجرس التي تحدثه في أذن السامع وعقل القارئ؛ يجد أنها تكاد تجسم العناء والجهد والضنى كأنها آهة مجهد مكروب ينوء بحمل ثقيل، يتنفس بجهد، فأنفاسه تلهث، إنها صورة الحمل وبخاصة في أيامه الأواخر، حتى يتصور الولد حالة أمه وهي في الوضع وآلامه.

ولا ننس رعاية الوالدين للطفولة الضعيفة في بدء حياتها، وكم تحمل الوالدان من عناء ومشقة ليجعلا حياة الطفل هانئة هادئة سعيدة، وكم بذلا من جهد للحفاظ على هذه الطفولة حتى يصل الطفل إلى سن الفتوة، وضلاعة التكوين.

ولكل ما تقدم ذكره جاء التوجيه القرآن والهدي النبوي متكرراً للإحسان إلى الوالدين في صورة موحية، وعبارات ندية، يستجيش وجدان البر والرحمة في قلوب الأبناء. وفي الأسطر الآتية نعرض بعضاً من الهدي النبوي الشريف في هذا السياق إضافة إلى ما سبق:

الهدي النبوي في بر الوالدين:

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ :- أي الأعمال أحبُّ إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها. قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين. قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله» رواه البخاري ومسلم.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال: أقبل رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «أبايعك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجر من الله، قال: فهل من والديك أحد حيٌّ؟ قال: نعم. بل كلاهما حيٌّ. قال: فتبتغي الأجر من الله؟ قال: نعم. قال: فارجع إلى والديك، فأحسن صحبتهما» رواه مسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «رغم أنفُ رجل ثم رغم أنف رجل ثم رغم أنف رجل» قيل: مَنْ يا رسول الله؟: «مَنْ أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة» شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/ ١٠٩».

وإذا كان القرآن الكريم يوجه إلى شكر الوالدين بعد شكر الله سبحانه وتعالى فإنه بذلك يرتب الواجبات على الإنسان، فيجيء شكر الله أولا يتلوه شكر الوالدين، ويأتي التعقيب الذي يربط بهذه الحقيقة حقيقة الآخرة التي يجد فيها الإنسان ما قدمت يداه، وجزاء ما فعل في الحياة الدنيا وما قدم

فيها من أعمال في قوله تعالى: «إليّ المصير» حيث ينفع رصيد الشكر لمذكور والعمل الصالح تجاه الوالدين.

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق:

قال تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. إن طاعة الوالدين من أجمل مظاهر البر بهما والإحسان إليهما، كما أنها دليل على حبهما والعطف عليهما، ولكنها على الرغم من كل هذا فإنها تأتي بعد وشيجة العقيدة فإذا حدث صدام بين طاعة الوالدين وطاعة الله المنبعثة من عقيدة صحيحة ثابتة سقطت وشيجة طاعة الوالدين، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

هنا تعلو وشيجة العقيدة على كل ما سواها فمهما بذل الوالدان من جهد ومغالبة ومن إقناع ليغريا الولد بأن يشرك بالله، هنا تسقط الطاعة بل تحرم؛ لأن طاعة الله فيما يأمر به وينهى عنه مقدمة على طاعة الوالدين في هذه الحالة.

ولكن لا ننس أن الاختلاف في العقيدة لا يعني سقوط حقوقهما الأخرى من البر والإحسان إليهما وغير ذلك مادام ذلك، كله في غير مجال

المعصية لله تعالى، فالصحبة الكريمة، والمعاملة الطيبة الرحيمة، والقيام بما يحتاجان إليه من الولد من حاجات الدنيا لإصلاح معاشهما، واستقرار حياتهما، كل هذه أمور واجبة حث عليها الإسلام وأمر بها القرآن الكريم، وهذا دليل رائع على محاسن هذا الدين القويم الذي يحث على دوام الصلة بين الوالدين وأولادهما حتى ولو فرقت بينهما العقيدة، فهناك الجانب الإنساني والجانب التربوي وجانب رعاية الوالدين لأولادهما وأنهما فوق كل ذلك سبب في وجودهما لكل هذه الصلات وهذه الحقوق أمر الإسلام بدوام الصلة؛ بل بالإحسان إليهما في حياتهما وحسن صحبتهما، والمتدبر للنص القرآني يجد أن الأمر بالمصاحبة بالمعروف قرن بالحياة الدنيا؛ لأن رحلة هذه الحياة على الأرض قصيرة مهما طالت في نظرنا، والصحبة الطيبة فيها لا تؤثر في الحقيقة الأصيلة الثابتة في وجداننا؛ حيث لا لقاء بينكما بعد هذه الحياة الدنيا ففي الآخرة لكل منكما مستقر غير الآخر، فريق في الجنة وفريق في السعير، وإذا علم الإنسان ذلك فضل الحياة الآخرة لأنها أبدية لا نهاية لها على الحياة الدنيا الفانية.

فبعد هذه المصاحبة لهما بالمعروف واتباع سبيل المنيبين إلى الله من المومنين، ترجعون إلى الله «ترجعون إليّ» عندئذ تخبرون بأعمالكم، ولكل منكم جزاء ما عمل في هذه الدنيا من كفران أو شكران، من شرك أو توحيد.

فائدة:

روي أن هذه الآية الكريمة نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه، والقصة بإيجاز كما جاءت في صحيح مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص:

عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبدا حتى يكفر بدينه «الإسلام» ولا تأكل ولا تشرب. قالت: زعمت أن الله وصاك بوالديك، وأنا أمك، وأنا آمرك بهذا، قال: مكثت ثلاثا حتى غُشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له: عمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ...﴾.

لكن علينا أن نفهم أن مدلول الآية عام ينطبق على كل حالة مماثلة لهذه الحالة فالسبب خاص والحكم عام، والقرآن الكريم يقرر هذه القاعدة ويؤكدها في كل مناسبة لتستقر في وجدان المؤمن، بصورة واضحة لا شبهة فيها ولا غموض حتى يؤطر حياته وعلاقته مع الوالدين على أساسها.

قضية الحساب في الآخرة:

لا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء فالكون كله بدقائقه بي علم الله قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي

﴿صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾. قلنا فيما سبق إنه من قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. هذا اسطراد معترض في سياق وصية لقمان لابنه وقد بينا السبب في ذلك حسب علمنا وما هدانا الله إليه.

بعد هذا الاستطراد تجيء الآية التي تبدأ بقوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا ... إلخ﴾. لتقرر قضية الآخرة وما فيها من حساب دقيق، وجزاء عادل.

لابد أن نؤمن أن الناس لم يخلقوا عبثًا، ولن يتركوا سُدى، فالله الذي قدر لهم حياتهم ذلك التقدير العظيم، ونسقها ذلك التنسيق العجيب، لا يمكن أن يدعهم يعيشون سُدًى ويموتون هملاً! لا يمكن أن يتركهم يصلحون في الأرض أو يفسدون ثم يذهبون عن الحياة ويدفنون تحت التراب ضياعًا هكذا!!

فهل يستسيغ عقل عاقل أو ضمير حيٌّ أن يترك المهتدي والضال والعادل والظالم هؤلاء يذهبون جميعًا إلى مصير واحد؟؟

إن هنالك يومًا للحكم والفصل في كل ما كان من الإنسان في الحياة الدنيا حتى يكون للتكاليف الشرعية ضرورتها، ويتقبلها الناس قبولا معقولا له أهدافه ودواعيه.

في هذا اليوم يتلاقى الناس جميعًا، يتلاقى كل واحد وعمله الذي قدم في هذه الحياة فالله لا تخفى عليه خافية من أعمال الناس مهما دقت وتناهت في الصغر، إنه ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾. لفتة لعين الخائنة، وسر الصدر المستور كل هذا مكشوف للحق سبحانه وتعالى.

في ذلك اليوم تعرض الأعمال على الناس؛ ليواجه كل واحد عمله، ويواجه جزاءه، إن مواجهة الإنسان بعمله على رؤوس الأشهاد، وفي حضرة الجليل الجبار المتكبر، لهي عقوبة هائلة رهيبة، وبعد هذه الرؤية يأتي الحساب الدقيق على هذه الأعمال الذي لا يدع ذرة من خير أو من شر لا يزنها ولا يجازي عليها.

إن القرآن الكريم يعرض حقيقة الآخرة، وما فيها من حساب دقيق عرضا يتناسب مع عظم الحقيقة المعروضة، يعرضها ويوضحها بأمثلة من هذا الكون المنفسيح الذي يعيش فيه الإنسان يعرضها في صورة ترتعد لها الأفئدة، ويحار فيها العقل، حيث يطالع علم الله الشامل الهائل الدقيق وإليك الصورة:

حبة من خردل متناهية في الصغر، ضائعة لا وزن لها ولاقيمة في صخرة صلبة محشورة فيها لا يظهر فيها شيء، ولا يمكن الوصول إليها في أجرام السموات في ذلك الكيان الشاسع الذي يبدو فيه النجم الكبير نقطة سابحة أو ذرة تائهة في ملكوت الله القيوم، أو كانت في الأرض ضائعة في ثراها

وحصاها لا تكاد تبين؛ فعلم الله يلاحقها، وقدرة الله لا تفلتها. إنه تعقيب يتناسب مع المشهد الخفي، فهو اللطيف الخبير، لطيف لا يدرك، خبير لا يغيب عنه شيء.

وهكذا يتملى العقل البشري علم الله الذي يتابع الخردلة في مكانها حتى يخشع القلب وينيب إلى اللطيف الخبير: إنها حقيقة العرض والحساب على الأعمال كلها صغيرها وكبيرها لأنها لا تخفى على الله.

وعلى هذا نستطيع أن ندرك السر العظيم وراء نصح لقمان لابنه بالاستعداد والعمل الصالح لهذا اليوم ويستعد كذلك لهذا الحساب الدقيق، وليتق الله الذي يحيط علمه بكل شيء، حتى تستقيم أحوال هذا الابن في الحياة الدنيا وبذلك ينجي ولده من هول يوم اللقاء، وعناء يوم الحساب ولأنه حريص على أن يعي ولده هذه الحقيقة عرضها عليه بأسلوب الحكيم العارف بأسرار الحياة، عرضها عليه مصاحبة لدليلها الذي يصدقها، ووضحها له بمثال حبة الخردل وما تمثله من صغر، حتى لا يستصغر أي ذنب يقترفه، أو يحقر من شأن أي معصية مهما صغرت، أيضا لا يحقر من أعمال الخير شيئا مهما صغر؛ لأن الميزان دقيق، والعلم شامل وكل شيء له عند الله جزاء والعاقل من يتدبر.

عُدَّة المؤمن في هذه الحياة:

ويتواصل النص القرآني في موعظة لقمان لابنه، فبعد النصح بالتمسك بالعقيدة الصحيحة والإيمان بالله وحده لا شريك له، أرسى في عقله وقلبه اليقين بالآخرة، وثبت في قلبه الثقة بعدالة الجزاء بحيث لا يفلت منه مثقال ذرة من الخير أو الشر إلا ويكون الجزاء عليها عادلا. بعد هذا يتجه السياق إلى مواصلة النصائح وذلك في قوله تعالى: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾.

ينصحه بالتوجه إلى الله بالصلاة فهذه عبادة لله وحده والتوجه إلى الناس بالدعوة إلى الله راجيا لهم الصلاح والهدى والرشاد، ومحذراً لهم من الشر وآثاره.

أولا: في إقامة الصلاة روح وندى؛ فهي اللحظات التي يستريح فيها القلب من التعب، وتسعد بها الروح بعد الشقاء، ومن هنا ندرك معنى قول رسول الله ﷺ إذا كان في شدة: «أرحنا بها يا بلال».

إن الصلاة تورث المؤمن عزة وكرامة، فالذي يحني جبهته لله وحده، يحنيها للقوي القادر للعزيز المتكبر، مالك الملك، لا يمكن أن يحنيها للعبيد بعد أن اعتز بالله وحده، والقلب الذي يسجد لله حقا، لا شك أنه يستشعر

مدى صلته بالله الواحد القهار فيشعر بلذة، ويجد لحياته غاية أعلى من غايات الدنيا، ويشعر بالقوة تسري في نفسه فيجد نفسه أقوى مخلوق على الأرض لأنه متصل بخالق الأرض ومن عليها والسماء وما فيها.

وهنا تُرَبَّى الشخصية المؤمنة تربية ربانية، لا تذل إلا لله، ولا تخضع إلا لسلطانه، ولا تجد نفسها ضعيفة أمام مصاعب الحياة ونكبات الدهر، إنها قوية بصلتها بالله، شخصية تدرك أن مقاليد الأرض والسماء بيد الله يصرفها كيف يشاء وعليها أن تتقبل كل ذلك برضى وشكر في النعم وصبر واسترجاع في النقم.

فالصلاة نور تشرق به روح المؤمن في الدنيا، نور له في قبره، نور له يوم القيامة ولهذا فهي قرة عين المتقين اقتداء بالنبي ﷺ «جعلت قرة عيني في الصلاة».

ثم بعد إقامة الصلاة وهذه عبادة تفيد الإنسان وحده، وأثرها يعود عليه يتوجه الخير من الإنسان إلى غيره، يقوم بواجبه في إرشاد إخوانه، وإصلاح أمته يتمثل ذلك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إن طبيعة الأمة المؤمنة هي الوحدة في المشاعر والأهداف، التكافل والتضامن في البر والخير، وهذه الصفات تستوجب النصح بعضهم لبعض،

بأن يأخذ كل واحد بيد أخيه إلى الخير، ويبعده عن الشر وما يجلبه من ضرر له ولغيره.

لا شك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو إعلاء لكلمة الله في الأرض، وتحقيق لشرعه وهو واجب على المؤمن؛ لأنه بهذه الصفة يكتسب الخيرية التي وصف الله بها الأمة المؤمنة في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾. والدعوة إلى الخير والتحذير من الشر ليس لها زمان معين أو مكان محدد؛ وإنما هي في كل زمان ومكان.

إن الوقوف أمام الشر وانتشاره في المجتمع، والتحريض على الخير وفعله، وصيانة المجتمع من عوامل الفساد والانهيار، وجلب عوامل القوة لهذا المجتمع، أمور متعبة وشاقة ولكنها ضرورية لإقامة الأمة الصالحة التي يريدها الله نموذجًا تقتدي به الأمم، ومثالا تحتذيه المجتمعات.

والمتدبر لآيات القرآن الكريم يجد مواضع كثيرة تقرر واجب الدعوة إلى الله ممثلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي السنة النبوية المشرفة طائفة من أحاديث رسول الله نقتطف بعضا منها لتكون نبراسًا يهتدي به المؤمن في حياته.

١- عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» أخرجه مسلم وغيره.

٢- عن حذيفة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أوليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم» رواه الترمذي وقال حديث حسن.

وغير هذا كثير في السنة مما يدل على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن فيه مصلحة المجتمع كله، ونجاة الأمة من المهالك؛ لأنه إذا أهمل هذا الواجب وعزف المؤمنون عنه لحق بالأمة فساد كبير؛ حيث تختفي الفضائل وتتفشى الرذائل وقبائح الأعمال، ولكن علينا أن نعلم أن التناصح والتوجيه إلى الخير، والتحذير من الشر والفساد، وكل ما يغضب الله عز وجل، من أهم المهمات وأفضل القربات إلى الله تعالى.

إن أصل المعروف في الحقيقة: هو توحيد الله والإخلاص له، ومنه ينبع كل خير وفضيلة وخلق كريم.

كما أن أصل المنكر في الحقيقة: هو الكفر والشرك بالله ومنه تظهر كل

لوان الشر والفساد وسوء الأخلاق وذميم الخصال التي تُلحق الضرر بالإنسان والمجتمع.

طريق الدعوة إلى الله:

يجب أن يختار المؤمن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أطيب الكلام وأحسنه، وأن يكون لطيف المشاعر مع الناس، يتحرى الرفق بهم، وأن تأتي عباراته مناسبة وتغزو الأرواح بحب واطمئنان، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال الرفيق الحسن هي أهم صفات الداعي إلى الله الناصح للأمة.

لهذا فالحماسة الزائدة في الدعوة، والاندفاع الزائد، والغيرة الكبيرة قد تدفع الناس عكس ما يريد الداعي.

كما يجب على الداعي إلى الله أن يعلم أن النفس البشرية لها كبرياؤها وأنفتها وهي لا تنزل عن رأيها الذي تسير عليه إلا بالرفق، والعبارات الهادئة المقنعة، والقول اللين الرحيم.

إن الكلمة الفظة، والأسلوب الخشن، والتعالي على الناس في النصح، كل هذه أمور تبعد القلوب عن الهدى، وتصرفها عن الحق، فالناس بحاجة إلى بشاشة في الوجه، وسماحة في المعاملة، بحاجة إلى حلم لا يضيق بجهلهم، ولا يتبرم بنقصهم وضعفهم، وبهذا الأسلوب وحده تثمر الدعوة

إلى الله وتحقق الهدف المرجو منها بتوفيق الله.

ثم يأتي هذا التعقيب البليغ في قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾. دعوة إلى الزاد الذي يجب أن يتزود به الداعي إلى الله الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، لا بد له من عون وزاد على تكاليف الدور الكبير الذي يقوم به لحمل رسالة الله وتحقيق منهج الإسلام.

إن الصبر على مشقة ما يصادف الداعي من عقبات، وما يناله من أذى في بعض الأحيان هو القاعدة الصلبة في بناء صرح الدعوة إلى الله، فالطريق شاق وطويل، والعقبات كثيرة، والابتلاءات فيه كبيرة، ولذلك يجب التسلح بالصبر والتحمل؛ فصبر المؤمن يجب أن لا ينفد، وحلمه يجب أن لا يزول، ولما كان الصبر شاقًا على النفوس، يحتاج إلى مجاهدة النفس؛ من هنا مدح الله سبحانه وتعالى الصبر في كتابه العزيز في مواضع كثيرة، وأمر به وأثنى على فاعله، وأخبرنا أن الصابر في معية الله سبحانه.

لقد فاضت السنة الشريفة بالأحاديث التي تحث على الصبر منها ما جاء في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام «والصبر ضياء» وهذا تشبيه جميل؛ لأن الضياء يزيح الظلام والصبر هكذا يضيء القلوب فتحتمل المشاق، وتحلم على السفيه، وهكذا ترينا السنة جانبًا مهمًا من جوانب الصبر.

وكل ما تقدم في هذه الوصية يحتاج إلى مغالبة الهوى والاستقامة على لدين وهذا أمر عسير على النفس ولذلك كان التعقيب ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ وعزم الأمر هو قطع الطريق على جانب التردد عند الإنسان فإذا عزم ءصمم فعليه أن يتحمل ما يترتب على ذلك ويمضي في تنفيذ ما عزم عليه. كما يفهم منه معنى الأمور الصعبة التي تحتاج إلى قدر كبير من الصبر ولا يطيق ذلك إلا من رزقوا قوة الإرادة والتصميم.

النهي عن الكبر والتعالي على الناس:

ويستطرد لقمان في وصيته التي يحكيها القرآن الكريم كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾.

يعرض القرآن الكريم في بداية هذه الوصية وصفًا منفرًا حتى لا يتصف به المؤمن إنه داء الصَّعر الذي يصيب الإبل فيجعلها تلوي أعناقها إلى جهة مخالفة لما هو معتاد، وكان المتكبر الذي يميل خده للناس في تعالٍ واستكبار، يشبه هذا، وبما أن الصعر مرض فالمتكبر مريض بهذه الصفة السيئة. فالقرآن بهذا الأسلوب يوجهنا إلى عدم الإعراض عن الناس تكبرًا واستعلاءً.

أما «المرح» المنهي عنه هنا فيعني التبختر، أي لا تمش في تخايل ونفخة، وهي حركة كريهة يمقتها الله سبحانه وتعالى ويمقتها الناس، لقد دل هذا التعبير على أن المتصف بهذه الصفة مريض بحب الذات ويجيء تعليل هذا النهي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

إن النواهي السابقة في هذه الوصية مرتبطة بعقيدة التوحيد لله وحده فهو القاهر فوق عباده والإنسان حين لا يشعر بالخالق القاهر فوق عباده تأخذه الخيلاء بما يبلغه من ثراء أو سلطان أو قوة أو جمال، ولو تذكر أن ما به من نعمة فمن الله، وأنه ضعيف لا حول له ولا قوة أمام حول الله وقوته لما تكبر وأخذه الخيلاء، ومشى على الأرض هونا لا تيها ومرحًا.

إن ذلك التواضع الذي يدعو إليه القرآن الكريم أدب مع الله، وأدب مع الناس، أدب نفسي واجتماعي، وما يترك هذا الأدب مع الله ومع الناس إلا فارغ القلب من الإيمان، فهو مكروه من الله لنسيانه نعمته عليه، ومكروه من الناس لانتفاشه عليهم. وإذا كان هذا ما جاء في القرآن الكريم فقد حفلت السنة المطهرة بكثير من الأحاديث التي تدعو إلى التواضع وتمقت الكبر. من هذه الأحاديث:-

١- عن حارثة بن وهب - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ

يقول: «ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جَوَّاظ مستكبر» رواه البخاري.
العتل: الغليظ الجافي، الجواظ قيل هو المختال في مشيته.

I- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً» رواه البخاري.

فالعجب بالنفس والكبر يسلبان من الإنسان الفضائل ويكسبانه الرذائل، وهما من الخصال الذميمة التي نهى الله ورسوله عنها.

إذن إذا كان مشي الخيلاء منهي عنه لما فيه من الغطرسة والتعالي على الناس فأي مشية يدعو إليها القرآن، ويطلب من المؤمن أن يطبقها؟ يقول الله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ فالقرآن يدعو إلى الاعتدال والقصد في المشية، فالتبختر والاختيال يضيعان الجهد؛ فعدم إضاعة الجهد من القصد والاعتدال؛ فمن سمات عباد الرحمن أنهم يمشون على الأرض مشية سهلة لا تكلف فيها ولا خيلاء؛ فالمشية - كما قيل - تعبر عن الشخصية، وتدل على أخلاق صاحبها.

وبمضي مع لقمان لنرى آخر وصاياه لابنه: ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾. فتخفيض الصوت وعدم ارتفاعه فيه أدب وثقة بالنفس، واطمئنان إلى صدق الحديث وما يزعق في الخطاب إلا إنسان سيء الخلق، أو مرتاب في قوله، أو

مزعزع في شخصيته وعندئذ يحاول إخفاء هذا النقص بارتفاع الصوت والغلظة والزعاق.

ثم يأتي التعقيب في ختام الوصية في صورة منفِّرة محتقرة تشمئز منها النفوس وذلك حين يقول القرآن الكريم ﴿إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ فيرسم لنا صورة تدعو إلى الهزء والسخرية والضحك مع البشاعة والاشمئزاز، فلا يكاد ذو عقل راجح وحسٍّ سويٍّ يتصور هذا المشهد ثم يحاول شيئًا من صوت الحمار!

أيقبل أحدنا أن يكون كذلك؟ هل يستسيغ عاقل أن ينزل نفسه هذه المنزلة البشعة؟

وبعد فقصة لقمان الحكيم دعوة حكيمة، ووصية خالدة، إنها نداء حبيب من أب لابنه، يحرص على خيره ويتمنى له الرشد والسداد، جاءت هذه الوصية في أدب رفيع.

لقد كانت وصية جليلة ضمت معاني كثيرة، وقواعد التربية والتهذيب لمجتمع رفيع القدر، نظيف السلوك، كريم الصفات.

عبر ودروس في قصة لقمان

لقد كانت وصية لقمان لابنه حافلة بالآداب النفسية والمشاعر الوجدانية و لأخلاق السوية فهيا بنا نبرز هذه العبر ونوضح هذه الدروس لتكون لنا نيراسًا يهدينا إلى أقوم طريق.

١- من الواجب على الآباء ضرورة عنايتهم بأولادهم لأنهم أولى الناس وأحقهم بالعناية والرعاية ومن ذلك تعليمهم ما يحتاجون إليه من أمور دينهم وأحكامه؛ لأنهم بذلك يحفظون أنفسهم وأهليهم من النار كما أن عيهم أن يقوموا بحق التربية الإسلامية الصحيحة لأبنائهم، وحبذا لو درس الآباء وصية لقمان وعلموها أبناءهم.

٢- يجب أن يشمل تعليم الآباء لأبنائهم أمور العقيدة الإسلامية والعبادات التي أمر بها الإسلام وكذلك الأخلاق الفاضلة التي أمر بها الدين، ونبذ الأخلاق الرديئة والتخلي عنها.

فمن أمور العقيدة :-

* توحيد الله وإفراده بالعبادة.

* كل مسلم مسؤول عن صلاح نفسه وإصلاح غيره حتى يصلح المجتمع.

* الصبر على أذى الغير ثم على ما يصيب الإنسان نفسه من مصائب في نفسه أو ماله أو ولده.

* الحلم وحسن الخلق ومقابلة السيئة بالحسنة.

٣- مما يستفاد من قصة لقمان أيضًا أنها تعلمنا كيف نرتب الحقوق والواجبات من حيث أولوياتها عند التطبيق والتنفيذ. فالشكر لله أولا لأنه هو المنعم الأول، ثم للوالدين لأنهما المنعمان التاليان، وبين الوالدين تقدم الأم على الأب. فيجب علينا مراعاة ذلك في كل أمور حياتنا، على المسلم أن يعرف ما عليه من حقوق وواجبات نحو ربه ونفسه فيؤديها على خير وجه.

٤- يستفاد مما جاء في قصة لقمان ضمن وصيته لولده، أن للوالدين حق الطاعة على الأبناء في الأمور التي لا عصيان لله سبحانه وتعالى فيها. حتى وإن كان الآباء والأمهات على غير دين الإسلام، فالمصاحبة بالمعروف واجبة في الحياة الدنيا، أما إذا أمرا بمعصية الله فلا طاعة لهما، بل تصبح طاعتهما محرمة، وعلى هذا المقياس يمكن أن نستفيد أن طاعة ولي الأمر واجبة إن لم تكن في معصية، وأن طاعة الواعظ واجبة أيضا إن لم تكن موعظته خارج نطاق الشرع أو الدين، وهكذا نضع أمام أعيننا هذه القاعدة

حتى تستقر حياتنا «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» بهذا نستريح ونريح وبالله التوفيق.

٥- يجب على المسلم أن يراقب الله سبحانه وتعالى في جميع أحواله ويعلم أن الله يراه ويعلم ما يكن صدره أو توسوس به نفسه فالأفعال مهما صغرت والأقوال مهما قلت كلها معلومة لله فلا تخفى عليه خافية وسوف يحاسب الإنسان عليها. ولا شك أن هذه المراقبة الدئمة لله تورث الإنسان الطاعة والاستقامة والخوف من الله وهذه وقاية للإنسان من الوقوع في المعاصي وارتكاب الذنوب فلا يخالف لله أمراً ولا يفعل إلا ما يرضيه سبحانه.

من هنا يعيش الإنسان في مثل هذه الحالة مطمئن القلب، مستريح النفس، هادئ البال، يخاف من الصغائر ولا يقترب من الكبائر، يخاف الحساب، ويعمل ليوم المآب. وهذه حياة المؤمن.

٦- الحفاظ على الصلاة في أوقاتها، والخشوع فيها والتدبر لمعانيها وأفعالها طريق لتقوية الصلة بالله، فهي معراج المؤمن إلى السماء، هي نور القلوب ورباط الأرواح بخالق الأرض والسماء، فإذا قويت الصلة بالله حالت بين العبد وبين المنكرات وأخذت بيده إلى الصالحات من الأقوال والأفعال،

فالصلاة برهان الإيمان، ونور للعبد في الدنيا والآخرة، الصلاة راحة للنفس المهمومة، ونعيم للقلب المكدود، وصدق رسول الله عليه الصلاة والسلام «أرحنا بالصلاة».

٧- من الدروس المستفادة من هذه القصة الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا طريق صلاح الفرد وصلاح المجتمع، وما كنا خير أمة إلا بالحفاظ على هذه الصفة والقيام بهذا الواجب؛ فإذا تواصى الناس بالحق وتناصحوا بالمعروف وحذر بعضهم بعضا من الشرور والمآثم، فالعالم يرشد ويبين ويعظ والغافل يسمع ويستجيب ويمتثل، الجاهل يسأل ليعرف الحقيقة والعالم يهدي ويبين ليتكامل المجتمع ويعيش الجميع في تآلف وترابط، حتى تصل بهم سفينة الحياة إلى شاطئ النجاة، فلا يغرقوا جميعًا في بحر ظلمات المعاصي، فاستجابة الدعاء، وتحقيق الآمال، وسعادة المآل، كلها من آثار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٨- الحياة مليئة بالمصاعب، وطريقها تحفه الأخطار، وتعترضه المشاق، فالعبادة تحتاج إلى صبر على أدائها، والطاعة يلزمها تحمل للمداومة عليها، وشؤون الحياة اليومية تحتاج إلى صبر، والاختلاط بالناس والتعامل معهم والأخذ والعطاء كل هذه أمور تحتاج إلى صبر، ولذلك جاءت الوصية بالصبر في كثير من آيات القرآن الكريم بأساليب متنوعة، ونظرا لأن الصبر فيه

مقاومة شديدة للغرائز البشرية، وتَصَدٍّ شديد لوساوس الشيطان كان الجزاء عليه متنوعًا والترغيب فيه بشكل لافت للنظر؛ فالصابرون يوفون أجرهم بغير حساب، والصابرون في معية الله دائمًا وهل هناك حفظ ورعاية وسعادة بعد هذه المعية؟ والصابرون يحسنون إلى الناس وإلى أنفسهم وينالون محبة الله لهم في الدنيا والآخرة، وهكذا يحثنا القرآن الكريم على الصبر؛ لأنه دليل الرضى وعنوان القبول ومفتاح الفرج، وهذا درس من أهم الدروس التي نستفيدها من هذه القصة وتلك الوصية، فما أحوجنا إليه في حياتنا الآن، حتى نسعد بها.

٩- يستفاد من هذه القصة النهي عن الكبر والتعالي على الناس، فالكبرياء لله وحده، والخيلاء والعجب بالنفس أساس الكبر، والتفاخر على الناس وهذه صفة كريهة يمقتها الله ويمقتها الناس، وهذه الصفة السيئة تحول بين المسلم وبين دخول الجنة فالله لا يحب المختال المتكبر وإذا غضب الله على إنسان حرمه جنته وعذبه في ناره، لأن الكبر يشعر الإنسان بأنه من طينة أخرى غير بقية الناس فهو أفضل منهم، ويشعره بأن مابه من نعم وخيرات ليست من عند الله، ويشعره بأنه قوي لا يغلب، وعظيم لا يطال، وهذه كلها مورثات لغضب الله وليس بعد غضب الله للإنسان من شيء، إضافة إلى كراهية الناس له في الدنيا. ومن هنا جاء النهي عن الكبر في القرآن الكريم

بصور شتى تشعر الإنسان بحقيقته وترده إلى أصله، وترد ما عنده إلى الله وتشعره بضعفه عندما يقارن نفسه بمخلوقات الله الأخرى الأعظم منه والأقوى منه والأكبر منه وهكذا إذا رد الإنسان إلى أصله، وعرف كنه ذاته ابتعد عن الكبر والتعالي والخيلاء فعاش محبوبًا من الله وهذه أجمل غاية، ومحبوبًا من الناس وهذه سعادة الدنيا فحذار حذار من الكبر.

١٠ يجب على المسلم أن يكون معتدلا في حياته فلا مغالاة ولا تفريط وذلك في كل شؤون حياته في الإنفاق، في المعاملة، في العبادة، في الأكل والشرب، وخلاصة القول على المؤمن أن يجعل التوسط والاعتدال في كل شيء هو ميزان حياته وإذا استعرضنا آيات القرآن الكريم نجد الحث على الاعتدال والتوسط في كثير من المواضع، كما اعتنت بهذه الصفة السنة الشريفة وهذا ليس خافيا على أحد. ولكن في قصة لقمان يأتي القصد في السير والتخفيض من الصوت وذلك كرمز للتوسط والاعتدال حتى في الحديث، وهذا يدل على أهمية هذا الخلق فعلينا جميعًا أن نتأدب بأدب القرآن، وأن نلتزم بهذه الأخلاق الإسلامية العالية حتى ننعم بحياة طيبة في الدنيا وفوز بالنعيم في الآخرة.

هذا ولله الحمد أولا وآخرًا

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٧
من هو لقمان	٩
معنى الحكمة	٩
توجيه قرآني	١٠
حقيقة الشكر لله	١١
قضية التوحيد	١٣
توصية وحنان	١٥
الهدي النبوي في بر الوالدين	١٨
لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق	١٩
قضية الحساب في الآخرة	٢١
عُدَّة المؤمن في هذه الحياة	٢٥
طريق الدعوة إلى الله	٢٩
لنهي عن الكبر والتعالي على الناس	٣١
عبر ودروس	٣٥
لمحتويات	٤١

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

Printing & Packaging